سلسلة تفريغات شبكة بينونة

انشراح الصدر

الشيخ
د. هشام بن خليل الطوسي

قام بها فريق التفريغ في شبكة بينونة للعلوم الشرعية

@baynoonanet @baynoonanetUAE www.baynoona.net

بسم الله الرحمن الرحيم

يسر شبكة بينونة للعلوم الشرعية أن تقدم لكم تفريغاً لمحاضرة

بعنوان

انشراح الصدر

للشيخ

د. هشام بن خليل الحوسني

-حفظه الله تعالى -

نسأل الله سبحانه وتعالى أن ينفع به الجميع

حقوق الطبع محفوظة لشبكة بينونة للعلوم الشرعية

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن نبينا محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا(٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا (٧١)﴾[الأحزاب٧٠:٧١].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾[النساء:١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾[آل عمران:١٠٢].

أما بعد..

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمدٍ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم-، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثةٍ بدعة، وكل بدعةٍ ضلالة، وكل ضلالةٍ في النار.

وبعد..

فاعلموا معاشر الأحبة أن الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- قد خلق هذه الدنيا بكل ما فيها، بحلوها ومرها، وسعادتها وشقاوتها، قال الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي كَبَدٍ﴾[البلد:٤] في مكابدة، وفي شدة، وفي مشقة،

هي الأيام كما شاهدتوها دولٌ، من سره زمنٌ ساءته أزمانُ.

لا بد للمرء أن تمر عليه لحظات فيها السعادة، ولحظات فيها من الضيق والكدر والنكد ما فيها؛ ولذلك أرسل الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- الرسل هادين ومبشرين ومنذرين، يبشرون أقوامهم بخير الطرق، ويدلونهم على أرشدها وأقومها وأهداها سبيلًا، ويحذرونهم مما فيه شرٌّ وخطرٌ عليهم ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾[الأنبياء:١٠٧]، الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- أرسل نبيه -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- ﴿مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا (٤٥) وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا

﴿٤٦﴾[الأحزاب:٤٥] هاديًا للناس، شارحًا لصدورهم، مطمئنًا لقلوبهم، مبينًا لهم خير طريقٍ يسلكونه لينالوا به جنةً عرضها السماوات والأرض.

وكما قيل: إن في الدنيا جنة من لم يدخلها لم يدخل جنة الآخرة، فلا بد للمؤمن أن يناله نصيبٌ من سعادة الجنة في هذه الدنيا، ونعيمها ولذتها ما شاء الله له، وبحسب عمله زاد أو نقص.

أرسل الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- نبيه -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- حريصًا علينا، رؤوفًا رحيمًا بنا كما ثبت عنه -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- في الحديث الحسن إذ قال: «إِنَّمَا أَنَا لَكُم بِمَنْزِلَة الوَالِد أُعَلِّمَكُم» انظر إليه -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- وإلى شفقته ورحمته بنا، يقول: «إِنَّمَا أَنَا بِمَنْزِلَة الوَالِد أُعَلِّمَكُم»[1].

فالوالد إن أراد بك خيرًا هل يدلك على خيرًا أم يدلك على شر؟

لا شك ولا ريب أنه -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- ما ترك خيرًا إلا ودل أمته عليه، ولا ترك شرًّا إلا وحذر أمته منه؛ لذلك لا بد لنا أيها الإخوة الأحبة من

(١) أخرجه أبو داود في "سننه" (١ /٣) برقم: (٨)

الوقوف على أسباب تنشرح بها الصدور، وتطمئن بها النفوس، وتسكن بها القلوب، لا بد أن نتعلمها، ونقف عندها ونعرفها من هدي نبينا -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم-؛ حتى نكون من هؤلاء الذين أنعم الله عليهم في الدنيا وفي الآخرة.

■ **من أهم هذه الأسباب التي تنشرح بها صدور المسلمين هو: توحيد الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-، والإيمان والإقرار بوحدانيته -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-:**

فكم هو سعيدٌ، وكم هو جميلٌ أن يتعلق القلب بالله -عَزَّ وَجَل- فاطر السماوات والأرض، يسعد الإنسان ويرقى كلما اقترب من ربه -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-، وكلما ابتعد عنه ضاق صدره، وازدادت مشقته وحرجه وضيقه.

الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- خلقنا في هذه الدنيا لغايةٍ واحدة، ولهدفٍ أسمى وهو تحقيق العبودية له -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-،﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[الذاريات:٥٦]، خلقنا الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- لهذه الغاية، ولهذا

الهدف السامي، ولهذا الهدف النبيل، وهو عبوديته -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-، وإفراده -عَزَّ وَجَل- بالوحدانية والعبادة

قال الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-: ﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾[الزمر:٢٢]

خلقنا الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- لهذه الغاية، فكلما ازداد العبد قربًا من ربه، وقربًا من توحيده، وقربًا من نوره الذي يقذفه في قلب المؤمن ويُنير به هذا القلب، فالقلب يا عباد الله كلما ابتعد عن ربه كلما أظلَم وضاق.

انظروا إلى حال العرب حينما بعث الله -عَزَّ وَجَل- إليهم عبده ونبيه -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم-

نظر الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- إلى هذه الأرض فمَقتها، مقت الناس كلهم، مقتهم عربهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب، تُظلم الدنيا، وتُظلم الأرض بانتشار الشرك، وبانتشار المعاصي، وبانتشار الفجور، وتنير هذه الأرض كلما ازداد فيها توحيد الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-، وكلما ازدادت فيها طاعة الله -عَزَّ

وَجَل-، بعث الله -عَزَّ وَجَل- نبيه ليخرج الناس من ضيق الأديان إلى سعة الإسلام، ومن عبادة العباد والمخلوقات إلى عبادة رب العباد، أرسله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- بهذا الدين لكي يطهرهم ويبعدهم من عبادة مخلوقٍ ضعيفٍ لا حول له ولا قوة.

كانوا يلجؤون إلى مخلوقٍ مثلهم، يلجؤون إلى معبوداتٍ مثلهم، يأتي الرجل منهم إلى وادٍ من الأودية، فيقول: نعوذ بسيد هذا الوادي، يقصدون الجن ممن هم في هذه الوديان وهذه الشعاب، فيقول: نعوذ بسيد هذا الوادي من سفهاء قومه، قال الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- حاكيًا حالهم: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾[الجن:٦]

يلجؤون لمثل هذه المخلوقات الضعيفة العاجزة القاصرة لتُنجيهم، أو لتريحهم، أو لتبعدهم عما فيه ضيقٍ وكدر، ولا يعلمون أنهم يقذفون بأنفسهم فيما هو مسببٌ للضيق، ومسببٌ للنكد، ومسببٌ للكدر، ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ

الإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾[الجن:٦] زادوهم تعبًا، زادوهم مشقةً، زادوهم نصبًا على خلاف ما كانوا يقصدونه.

يقول ابن القيم -رحمة الله عليه-: (فمحبة الله تعالى ومعرفته، والتوكل عليه، والخوف منه، والرجاء، والرغب إليه هو الذي تنشرح به الصدور، وتطمئن به النفوس، وتسكن به القلوب، وكلما ابتعد الإنسان عن هذه المحبة التي فيها انشراح الصدور ناله من الضيق ما ناله).

فإذا أردت السعادة يا عبد الله، فعليك بتوحيد الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-، وعليك باللجوء إليه -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- وحده كما أخبرنا الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-: ﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللهُ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللهِ﴾[الزمر:٢٢].

قال الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللهُ أَنْ يَهدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ﴾[الأنعام:١٢٥].

فالله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- بيَّن لك أيها المسلم، بيَّن لك السبيل، وبيَّن لك الطريق الذي تكون فيه سعادتك، أفلا نحرص عليه؟ وألا نستمسك به؟

بلى والله، يجب على المسلم أن يعضّ على هذا الطريق بالنواجذ، ويستمسك بهذه العروة الوثقى التي لا انفصام لها وهي شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله.

يقول ابن القيم -رحمة الله عليه-: (هما محبتان: محبةٌ هي جنة الدنيا، وسرور النفس، ولذة القلب، ونعيم الروح وغذاؤها وهي محبة الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-، ومحبةٌ أخرى هي ضيق القلب، وضيق النفس والصدر، وسجن هذا القلب وظلمته وقسوته وشدته وهي محبة ما سواه).

فاختر لنفسك أيها المسلم أي هاتين المحبتين، ولا يشك عاقل، ولا يماري في ذلك مماٍر، أن من أراد السعادة فليبحث عن محبة الله -عَزَّ وَجَل-، فهي التي تُنير دربه، وتضيء له طريقه، وتشرح له صدره.

بيَّن صحابة النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- هذا الطريق الذي سار عليه نبينا -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم-، واستمسكوا به، وعضوا عليه، بيَّنوه بما جاء في سِيَرِهِم، وما جاء في أخبارهم -رضوان الله عليهم-.

فها هو عمر -رَضِيَ الله عَنْهُ- حينما ينظر إلى الحجر الأسود وما يحصل عنده من السُّنَّة التي أرشدنا إلينا النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- من المسح أو التقبيل، أو السجود على هذا الحجر الأسود قائلًا -رَضِيَ الله عَنْهُ: (والله إني لأعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع) انظروا إلى إيمان هذا العبد الطائع الخائف من ربه -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- يعلم أن الضر والنفع بيد الله -عَزَّ وَجَل-، يقول: (والله إني لأعلم أنك حجرٌ لا تضر ولا تنفع، ولولا أني رأيت رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- يُقَبِّلُك لَمَا قَبَّلْتُك).

ننظر إلى حال الفاروق -رَضِيَ الله عَنْهُ- ومعرفته لحقيقة العبودية، وأن العبودية إنما تُصرف للباري -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- الذي فَطَر السماوات والأرض،

أما هذه الأحجار فإنما هي من مناسك وأفعال الحج التي فعلها النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم-، لا أنها تضر، ولا أنها تنفع.

وننظر إلى أحوال الناس في أيامنا وما قبل أيامنا من تعلقهم بالشجر، أو الحجر، أو غيرها، أو ما يسمى في مثل هذه الأيام بعلوم الطاقة أو الجذب، وهي كذبٌ ودجلٌ على الناس، مِن تعلّقهم بهذه الأحجار، وتعلقهم بهذه الأمور التي لا نفع فيها ولا ضُر، وإنما تضرّهم ولا تنفعهم .

نرى ونحن في أزمنةٍ متقدمةٍ، التي انتشرت فيه العلوم والتقنيات، وغيرها من الأمور، فنجد بعض الناس لا تزال عقولهم قد تعلّقت بأحجارٍ، أو معبوداتٍ، أو أمورٍ لا تنفع ولا تملك لنفسها ضرًّا ولا نفعًا.

فالمسلم يا عباد الله، لا بد أن ينتبه لهذه الغاية السامية والهدف النبيل، وهي أنه إن أراد انشراح صدره، وطمأنينة قلبه؛ فعليه بإخلاص العبودية لله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-

انظروا إلى حال الخليل إبراهيم -عَلَيْهِ الصَّلَاة وَالسَّلَام- حينما أُلقي في النار ماذا قال، هل لجأ إلى أحد؟ هل طلب من أحدٍ أن ينفعه أو يضره؟ أو إنما تعلّق قلبه بباريه وخالقه -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-؟

لما أُلقِي إبراهيم -عَلَيْهِ الصَّلَاة وَالسَّلَام- في النار كما يذكره ابن عباس -رَضِيَ الله عَنْهُ- في الحديث الصحيح قال: (حسبنا الله ونعم الوكيل، كلمةٌ قالها إبراهيم حينما ألقي في النار، فجعلها الله بردًا وسلامًا عليه، وقالها محمدٌ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- حينما قال له الناس: ﴿إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾[آل عمران:١٧٣]).

هكذا القلوب إذا تغلغل فيها وتشرّبت بنور الإيمان، وازدادت من نور توحيد الله -عَزَّ وَجَل- انعكس ذلك على كلامه، وانعكس على جوارحه، فترى النور والخير يخرج من فمه، ومن جوارحه، ومن تصرفاته.

والعكس بالعكس، كلما ابتعد الإنسان عن ربه -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-، وتعلق بمعبوداتٍ، أو أحجارٍ، أو أشجارٍ لا تملك لنفسها ضرًا ولا نفعًا، وجدته من

أكثر الناس تخبطًا وضيقًا وقلقًا وتوترًا، وما ذاك إلا لغلبة أحد المحبّتين في قلبه على الأخرى.

فاحرص أيها المسلم على أن تكون محبة الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- وحده هي المحبة الخالصة، محبة العبودية لله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- وحده لا شريك له -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-.

■ **السبب الثاني أيها الأحبة: قراءة كتاب الله -عَزَّ وَجَل- القرآن الكريم:**

﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُوا الأَلْبَابِ﴾[ص:٢٩]، سببٌ عظيمٌ من أسباب انشراح النفوس، غفلنا عنه، وانشغلنا عنه إلى أمورٍ ليس فيها كبير فائدة، وليس فيها كبير نفع، بل قد تجلب علينا من الضيق والكدر ما نراه واقعًا ملموسًا في حياة كثيرٍ من الناس.

كثيرٌ من الناس يقول: إني أشعر بالضيق، إني أشعر بالنكد، أشعر بكذا، أشعر بكذا .

فتسأله: ما هي علاقتك بكتاب الله -عَزَّ وَجَل-؟ كيف أنت وكتاب الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-؟ متى هي آخر مرةٍ تلوت فيها كتاب الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-؟ أتُريدُ بعد ذلك أن ينشرح صدرك، وتطمئن نفسك؟!

أنت الذي تجني على نفسك، وتجلب لها مثل هذه المنغصات، وكتاب الله بين يديك، اقرأه واسمعه وتدبره، وانظر إلى حالك بعد ذلك كيف يتغير حالك، وتطمئن نفسك، وينشرح صدرك، فكتاب الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- كتابٌ عظيم أنزله إلينا رحمةً بنا لنتلوه ونتدبره.

وكما روي عن عثمان -رَضِيَ الله عَنْهُ- أنه قال: (لو طهرت قلوبنا لما شبعت من كلام الله)

الأثر فيه كلام، لكن معناه صحيح (لو طهرت قلوبنا لما شبعت من كلام الله -عَزَّ وَجَل-).

يقول الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-: ﴿لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ﴾[الحشر:٢١] تأملوا يا عباد الله ﴿لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ

خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ﴾[الحشر:٢١] يضرب الله لك هذا المثل حتى تتذكر وتعتبر، كتاب الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- وكلامه -عَزَّ وَجَل- لو نزل على جبلٍ وفهمه هذا الجبل وتدبره؛ لتصدَّع خوفًا وخشيةً من الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-.

﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾[البقرة:٧٤] وانظر يا عبد الله، قلبٌ أقسى من حجر، نسأل الله -عَزَّ وَجَل- أن يلين قلوبنا .

﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾[البقرة:٧٤] تنظر إلى هذه الأحجار كيف تهبط من خشية الله -عَزَّ وَجَل-، وتنظر إلى حالنا ونحن نقرأ كتاب الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-، تنظر إلى حالك وأنت تقرأ كتاب الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- ولا تتأثر، ولا يتأثر الواحد منَّا، بل كأنه يقرأ أيّ كلام، تقرأ كتاب الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- وتتيقن

أنه ﴿مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾[هود:١] ﴿لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾[فصلت:٤٢] -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-.

تأمل يا عبد الله هذه الآيات فإنها لك أنت، خطابٌ لك أنت وليست لغيرك، يقول ابن مسعود -رَضِيَ الله عَنْهُ-: (إذا سمعت ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ فأرعها سمعك، فإما خيرٌ تؤمر به، أو شرٌّ تنهى عنه).

تأمل هذا الكلام واقرأه بتدبر وتأمل، فوالله ما من خيرٍ إلا دلّنا عليه كتاب الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-، وما من شرٍّ إلا وقد حذرنا منه، ففيه الخير، وفيه العبرة، وفيه العظة، وفيه قصص من قبلنا حتى يعتبر الإنسان، فالأيام أيها الإخوة، الأيام دِوَل يعيد بعضها بعضًا، والنفس إن لم تعودها على طاعة الله -عَزَّ وَجَل- اعتادت على الكبر، اعتادت على العتو، اعتادت على مخالفة شرع الله -عَزَّ وَجَل-.

فينبغي عليك أن تكسر هذا الكِبْر الذي فيها، وأن تعودها للانصياع إلى طاعة الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-، وإلى مرضاته -عَزَّ وَجَل-، والنَّفس كالطفل إن

عوَّدتها على الأمور الطيبة اعتادت، وإن عودتها على الأمور السيئة اعتادت، فروِّضْهَا وحكِّم كتاب الله -عَزَّ وَجَل- فيها، ولا تجعلها تأخذك يمينًا وشمالًا، بل اجعل كتاب الله -عَزَّ وَجَل- هو قائدك، وهو الذي ينير دربك.

وإذا تأملت هذه الآيات ولم تؤثِّر فيك، فاجلس لوحدك، وابكي على خطيئتك، وكيف أنك لا تتأثر بهذا الكلام، وبكتاب الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-، وقد تأثر به حجرٌ فسقط وخَرّ، هذا سببٌ من أسباب انشراح الصدر وطمأنينة القلب.

■ **من الأسباب كذلك التي تشرح الصدور، وتُطَمْئِن النفوس: اتباع سنة المصطفى -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم-.**

ونبينا -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- هو الرحمة المهداة، وهو الخير الذي بُعِثَ لهذه البشرية -عَلَيْهِ الصَّلَاة وَالسَّلَام-،﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾[فاطر:٢٤]، ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾[الأنبياء:١٠٧] أرسله الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- ليبين لنا ما فيه انشراح صدورنا، وما فيه طمأنينة

قلوبنا، قال -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-: ﴿فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾[النساء:٦٥].

لا تمتعض، ولا تخجل، ولا تكابر، ولا تستنكف عن اتباع هدي نبيك -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم-، اقتدِ به -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم-، وتذكر أن ربك -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- قال في كتابه: ﴿وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا﴾[النور:٥٤]، فإن أردت الهداية، وإن أردت انشراح الصدر، فعليك بسنة المصطفى -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم-، ولا يغرنك من خالف السُّنَّة بكلامٍ معسولٍ، أو غير ذلك من الأمور التي قد تجلب الناس، وتجلب عواطفهم، وتخالف سنة نبيهم -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم-.

فاحذر يا عبد الله أشد الحذر من مخالفة سُنَّة نبيك -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم-، واستمسك بهذه السنة «فعَلَيْكُم بِسُنَّتِي، وَسُنَّة الخُلَفَاء الرَّاشِدِين المَهْدِيِّين مِنْ

بَعْدِي تَمَسَّكُوا بِهَا، وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذ، وَإِيَّاكُم وَمُحْدَثَات الأُمُور، فَإِنَّ كُل مُحْدَثَةٍ بِدْعَة»[١].

فالفلاح والنجاح، والسعادة والاستقرار، إنما هو باتباع سنة المصطفى -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللهَ كَثِيرًا﴾[الأحزاب:٢١].

تتأمل سيرة النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم-، وما مر به من أمورٍ، ومن تكذيب قومه له، ومن صدّهم له، وافترائهم عليه، وإخراجهم له، مرَّ النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- بهذه الأمور كلها، لكنه كان مطمئن البال، منشرح الصدر، يقول لصاحبه وهو في أصعب حال، والكفار يطاردونه يقول له: ﴿لا تَحْزَنْ إِنَّ اللهَ مَعَنَا﴾[التوبة:٤٠] هكذا المؤمن إذا استقر تَعلّقه بالله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- اطمأن بَاله، وانشرح صدره، وسكنت نفسه وهدأت، كيف يحزن والله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- معه؟! حاشا وكلَّا، فهو الأسوة والقدوة التي نقتدي بها -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم-.

---

(١) أخرجه ابن ماجه في "سننه" (١ /١٥) برقم: (٤٢)

يقول الله -عَزَّ وَجَل-: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾[الأنفال:٢٤] لما فيه حياةٌ لكم، لما فيه انشراحٌ لصدوركم، لما فيه طمأنينةٌ لكم لن تجدوها إلا في سُنة المصطفى -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم-، ولو تشدق من تشدَّق بعباراته أو بكلامه، فإن العبرة بموافقة السنة، ومتابعة سنة النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم-.

يقول الله -عَزَّ وَجَل-: ﴿لا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[النور:٦٣].

قال الإمام أحمد -رحمة الله عليه-: (أتدري ما الفتنة؟ الفتنة الشرك، لعله إذا رد بعض قوله أن يقع في قلبه شيءٌ من الزيغ فيهلك).

كم تمرّ علينا في هذه الأيام الأحاديث عن المصطفى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم؟

كم منا من يستجيب لها؟

وكم من الناس وللأسف من يستهزئ أو يقلل، أو لا يستجيب لذلك؟ نسأل الله الهداية لنا ولهم.

المسلم أيها الإخوة إذا سمع كلام النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- قال: سمعًا وطاعة للنبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- هذا الرحمة الذي بُعِثَ لكل خيرٍ، وبُعِث لكل خيرٍ يدلك عليه، وبُعِثَ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- ليحذرك من كل شر - عَلَيْهِ الصَّلَاة وَالسَّلَام-.

﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ﴾[آل عمران:١٦٤].

■ **من الأمور كذلك أيها الإخوة التي تشرح الصدور، وتطمئن النفوس: ذِكر الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-، والمحافظة على أذكار اليوم والليلة، والصباح والمساء.**

فالله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- أرشد نبيه إلى هذه الأمور التي فيها انشراحٌ لصدورنا، وهي ذكره -عَزَّ وَجَل- ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾[الرعد:٢٨]، إن أردت اطمئنان نفسك، وانشراح صدرك فعليك بذكر الله -عَزَّ وَجَل-.

كان النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- كما جاء في حديث أم المؤمنين عائشة -رَضِيَ الله عَنْها- في الحديث الصحيح: (كان النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- يذكر الله على كل أحيانه) .

وحينما طلب منه ذاك الرجل أن يوصيه وأن ينصحه قال: «لَا يَزَال لِسَانك رَطِبًا بِذِكْر الله»[1].

ذِكر الله -عَزَّ وَجَل- حصنك الحصين أيها المسلم وأيتها المسلمة، هو حصنك الحصين الذي يحفظك الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- به من كل شر، من شياطين الإنس والجن، تخرج من بيتك فتقول: بسم الله، توكلت على الله، ولا

(١) أخرجه الترمذي في "جامعه" (٤ / ١٥٦) برقم: (٢٣٢٩)

حول ولا قوة إلا بالله، فيقول الشيطان لصاحبه: كيف بك بشخصٍ كُفِيَ ووقِيَ فلا تستطيع عليه، فيتنحى عنه، .

تصبح في الصباح فتذكر الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-: (اللهم بك أصبحنا، وبك أمسينا، وبك نحيى، وبك نموت، وإليك النشور)، تفتتح يومك بذكرٍ لله -عَزَّ وَجَل-، تعطّر يومك بهذا الكلام الجميل، تمسي وأنت ذاكرٌ لله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-، تنام وأنت على ذكرٍ لله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-، تتقلب في حياتك آناء الليل وأطراف النهار وأنت ذاكرٌ لله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-.

﴿أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا﴾[الأنعام:١٢٢].

يقول -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- في الحديث الصحيح: «مَثَل الذِي يَذْكُر رَبَّهُ وَالذِي لَا يَذْكُر رَبَّهُ كَمَثَل الحَي وَالمَيِّت»[1] هل يستوي هذا وذاك؟

كلَّا والله لا يستويان.

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" (٨ / ٨٦) برقم: (٦٤٠٧) ومسلم في "صحيحه" (٢ / ١٨٨) برقم: (٧٧٩)

لهذا يقول أهل العلم: إن حاجة الإنسان إلى ذكر الله، وإلى عبادة الله -عَزَّ وَجَل-أشد من حاجته إلى الطعام والشراب، بل ومن النفس كذلك، وذكر الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-للمسلم كالماء للحوت، أو كالماء للسمك كيف فيه إذا فارقه؟ لا يعيش من غير ماء، كذلك المسلم لا يعيش من غير ذِكرٍ لله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-، وإن عاش فهي عيشةٌ فيها من الضيق وعدم الاستقرار والقلق ما فيها .

بحسب محافظة الإنسان على ذِكر الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-، وقربه من ربه -عَزَّ وَجَل- تطمئن نفسه، وينشرح صدره، وتهدأ نفسه.

جاء في قول الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾[الأعراف:٢٠١].

قال ابن عباس -رَضِيَ الله عَنْهُ-: (إن الشيطان جاثمٌ على قلب ابن آدم، فإذا ذكر الله خنس، وإذا غفل وسوس)

الشيطان جاثم على قلب ابن آدم ينتظر منه هفوة، وينتظر منه زلة، وينتظر منه غفلة، فإذا ذكرت ربك خنس وابتعد، وإذا غفلت عن ذكر الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-بدأ في الوساوس، وبدأ في جلب الضيق والنكد لك، فاحرص أيها المسلم على الإكثار من ذكر الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-.

علَّمنا النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- أدعيةً وأذكارًا تُقال إذا ضاق الأمر بالإنسان واشتد الكرب به، علّمنا النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- دعواتٍ يقولها المسلم، فقد كان -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- إذا نزل به همٌّ أو غمٌّ يقول: «يَا حَي يَا قَيُّوم بِرَحْمَتِكَ أَسْتَغِيث»[1] لجوء وطلب إغاثة من المسدي والمنعم والمتفضل بها -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-.

كان يقول -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم-: «مَا أَصَاب عَبْدًا هَمٌّ وَلَا غَمٌّ وَلَا حَزَنٌ فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُك ابْن عَبْدك ابْن أَمَتك، نَاصِيَتِي بِيدِك، مَاضٍ فِيَّ حُكْمِك، عَدْلٌ فِيَّ قَضَائِك، أَسْأَلَك اللَّهُمَّ بِكُل اسْمٍ سَمَّيْت هُو لَكَ سَمَّيْت بِهِ نَفْسك، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كَتَابِك، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِك، أَوْ اسْتَأْثَرت بِهِ فِي عِلْم الغَيْب

(١) أخرجه الحاكم في "مستدركه" (١ / ٥٤٥) برقم: (٢٠٠٧)

عِنْدك أَنْ تَجْعَل القُرْآن رَبِيع قَلْبِي، وَنُور صَدْرِي، وَجَلَاء حَزَنْي، وَذِهَاب هَمِّي وَغَمِّي»[1] ما دعا بها إنسان إلا فرج الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- كربه، وأزال همه، وكشف غمه.

وعلَّمنا النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- دعوة ذي النون يونس -عَلَيْهِ الصَّلَاة وَالسَّلَام- لما التقمه الحوت ﴿فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾[الأنبياء:٨٧] ينادي بها المسلم، ويلجأ بها إلى ربه -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- ليفرّج همه، ويزيل كربه، ومَن أخلص وأيقن، فليبشر بالخير والسعادة.

علمنا -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- كذلك أن يقال عند الكرب: «لَا إِلَه إِلَّا الله العَظِيم الحَلِيم، لَا إِلَه إِلَّا الله رَب العَرْش العَظِيم، لَا إِلَه إِلَّا الله رَب السَّمَاوَات وَرَب الأَرْض وَرَب العَرْش الكَرِيم»[2] كلماتٌ يسيرات يقولها المسلم، فيُذهِب الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- ما به من همٍّ أو غمٍّ، أو حَزَن.

---

(١) أخرجه أحمد في "مسنده" (٢ / ٨٦٤) برقم: (٣٧٨٨)

(٢) أخرجه البخاري في "صحيحه" (٨ / ٧٥) برقم: (٦٣٤٥)

يقول -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم-: «دَعَوَات المَكْرُوب، اللَّهُمَّ رَحْمَتَك أَرْجُو، فَلَا تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي طَرْفَة عَيْن، وَأَصْلِح لِي شَأْنِي كُله، لَا إِلَه إِلَّا أَنْت»[1].

تأملوا أيها الأحبة، لجوءٌ وإقرارٌ واعترافٌ للباري -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- بالعبودية، واعترافٌ بالضعف والعجز، وأنك مخلوقٌ ضعيفٌ لا تستطيع وليس لك حولٌ ولا قوة إلا بالله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- الذي بيده ملكوت كل شيء، والذي هو ينفع ويضر، وبيده الخفض والرفع.

الإنسان مهما تكلم في الأذكار فلن يوفيها حقها، وقد ألّف أهل العلم رحمة الله عليهم في ذكر الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- كتبًا قيمة، من أجمل ما كتب في هذه المسألة كتاب [الوابل الصيّب] للإمام ابن قيم الجوزية رحمة الله عليه، عدّد فيها منافع الأذكار وفوائدها على المسلم، وذكر أمورًا جميلة مما يستفيدها المسلم، وينشرح صدره، وتطمئن نفسه لهذه الأذكار، ولمثل هذه الدعوات الطيبات.

---

(١) أخرجه أبو داود في "سننه" (٤ / ٤٨٤) برقم: (٥٠٩٠)

■من الأمور كذلك التي لا بد أن ننتبه لها في انشراح الصدور، وطمأنينة النفوس: حُسن الظن بالله -عَزَّ وَجَل-.

حسّن الظن بربك -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-، كثيرٌ من الناس يدعو ويأس يقول: دعوت فما استُجِيب لي، يقول: سألت فلا أزال على ما أنا عليه، نقول لمثل هذا: هل أحسنتَ الظن بالله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-؟

لو سألت يا عبد الله إنسانًا كريمًا جوادًا رحيمًا رفيقًا بك؟ لقال: لا .

فكيف بك إذن تُسيء الظن بالله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- وهو أكرم الأكرمين سبحانه .

يقول -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-: «أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي»[1] هذا كلام ربك -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-، فإن أحسنتَ الظن بالله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- فأبشر بالذي يسرّك.

ما يدعو المسلم دعاءً إلا ويتحقق له من الأمور الثلاثة :

- إما أن يستجاب ويُعَجَّل بإجابة دعائه.

---

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" (٩ / ١٢١) برقم: (٧٤٠٥)

- أو يصرف بها من الشر ما قد قدره الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- عليك، فيصرفه الله بهذه الدعوة.

- أو يدّخرها لك كاملةً مكملةً يوم القيامة.

فما أسعدك! وما أهنأك بمثل هذه الدعوة!، ليس الشأن أن يُستجاب أو لا يستجاب لك، إنما الشأن أن تدعو، فمجرد دعاؤك هو توفيقٌ من الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- لك، وإذا اُستُجِيب لك فهو توفيقٌ آخر من الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- لك، فأنت يا عبد الله، بين خيرٍ وخير، فأكثِرْ من الدعاء، والكريم لا يرد عبده، «إِنَّ اللهَ يَسْتَحِي أَنْ يَرُد عَبْدَه صِفْرًا إِذَا رَفَعَ إِلَيْهِ يَدَيْهِ»[1]، فلماذا تعجز؟! ولماذا تقنط؟! ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ﴾[الزمر:٥٣].

قد يوسوس الشيطان لبعض الناس ويقول: مَن أنت؟ أنتَ مكثرٌ من الذنوب، أنت مكثرٌ من المعاصي كيف يستجيب الله لك؟

---

(١) أخرجه ابن حبان في "صحيحه" (٣ / ١٦٠) برقم: (٨٧٦)

فقل له: لا، ربي -سُبْحَانَهُ وَتَعالَى- يقول: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾[البقرة:١٨٦]، ربك قريبٌ منك، مستجيبٌ لدعائك، يعطي عبده سؤله، لا تُغيضه نفقة، ولا ينقص من ملكه شيء، لو اجتمع كل من في هذه الأرض، وكل من في أقطارها وأعطاهم الله -عَزَّ وَجَل- ما نقص ذلك من ملك الله -عَزَّ وَجَل- شيء.

فأحسن الظن بالله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-، وانطّرح بين يديه، واخلو بربك -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-، واسأله سؤال متيقنٍ متذكرٍ معترفٍ بفضل الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-، منكسرٍ ذليلٍ بين يديه -عَزَّ وَجَل-، وأبشر بالذي يسرك من ربٍّ كريمٍ جوادٍ رحيمٍ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-، «إِنَّ الله يَسْتَحِي من عَبْدَه إِذَا سَألَه أن يردُّه صِفرًا»[١] فهل تعجز وهل يعجز لسانك عن الكلام، وعن الطلب من هذا الكريم الرحيم الذي يطلب منك، ويخبرك بأنك إن سألته فهو قريب يجيب دعوة المضطرين، يجيب دعوتك إذا دعوته، «إِذَا كَانَ الثُّلُث الأَخِير منَ اللَّيل

(١) سبق تخريجه.

نَزَل الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- إِلَى السَّمَاء الدُّنْيَا فَيَقُول: هَلْ مِنْ تَائِبٍ فَأَتُوب عَلَيْه؟ هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ فَأَغْفِر لَهُ؟ هَلْ مِنْ دَاعٍ فَاسْتَجِيب لَه؟»[١]

فالله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- عند ظنك به، فأحسن الظن بالله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-، ولا يوسوس لك الشيطان، ولا يخدعك بوساوسه.

■ **من الأمور التي ينبغي كذلك أن ننتبه لها معاشر الإخوة: البعد عن المعاصي.**

ولا شك أن البعد عن المعاصي سببٌ عظيمٌ من أسباب انشراح الصدر، وطمأنينة النفس، يقول الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾[الشورى:٣٠]، وقال -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-: ﴿أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ﴾[آل عمران:١٦٥].

---

(١) أخرجه أحمد في "مسنده" (٧ / ٣٦٩٢) برقم: (١٧٠١٧)

يقول بعض السلف: (والله إني لأعلم ذنبي بخُلُق امرأتي أو خُلُق دابتي) حتى الدواب تستعصي، لكن قد يقول قائل: كيف عَرَف ذنبه؟

نقول كما قال الأولون: قَلّت ذنوبهم، فعرفوا من أين يُؤتون، وكَثرت ذنُوبنا، فلا ندري من أين نُؤتى، فنستغفر الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- من كل ما عملناه، ومن كل أخطائنا.

فالمطلوب أيها المسلم وأيتها المسلمة أن يداوم الإنسان على الاستغفار، وعلى التوبة والإنابة والرجوع إلى الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-، «كُل بَنِي آدَم خَطَّاء» لكن ماذا؟ «خَيْر الخَطَّائِين التَّوَّابُون»[1]

وقال عليه الصلاة والسلام: «لَوْلَم تُذْنِبُوا لَذَهَبَ الله بِكُم وَأَتَى بِقَوْمٍ يُذْنِبُون ثُمَّ يَسْتَغْفِرُون، فَيَغْفِر لَهُم».[2]

الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- يُحب منك أيها المسلم، ويحب منكِ أيتها المسلمة أن نمدحه، وأن نحمده، وأن نثني عليه، ولا يحب من عبده العتو والتكبّر

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" (٨ / ٩٣) برقم: (٦٤٣٩) ومسلم في "صحيحه" (٣ / ٩٩) برقم: (١٠٤٨)
(٢) أخرجه مسلم في "صحيحه" (٨ / ٩٤) برقم: (٢٧٤٩)

والتفاخر بالطاعة كلَّا، بل لا بد أن تكون الطاعة مورثة لصاحبها الذل والانكسار وعدم الاستكبار

فإنْ فعلت طاعةً فاعلم أنها بتوفيقٍ من الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- لك، وإن فعلت معصيةً فاستغفر الله وتُب منها، ولا تُصِرّ عليها.

وكان نبيك -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- كثيرًا ما يكثر الاستغفار، ويستغفر الله في المجلس سبعين مرة، ومئة مرة -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم-، وهو قد غُفِر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر -عَلَيْهِ الصَّلَاة وَالسَّلَام-، لكنه يقول: «أَفَلَا أَكُون عَبْدًا شَكُورًا؟»[1] كَثير العبادة فتقول له أم المؤمنين تقول له رضي الله عنها: وتتفطر قدماك وأنت قد غُفِر لك ذنبك؟ فيقول: «أَفَلَا أَكُون عَبْدًا شَكُورًا؟» -عَلَيْهِ أفضل الصَّلَاة وَالسَّلَام-.

يقول ابن القيم رحمة الله عليه: (وما يجازى به المسيء من ضيق الصدر، وقسوة القلب وتشتته وظلمته وحزازاته وهمه وغمه وحزنه وخوفه ما تكون

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" (٢ / ٥٠) برقم: (١١٣٠)

هذه الأمور إلا بسبب ذنب أذنبته، وبسبب ذنوبٍ ومعاصٍ اقترفتها، بل الغموم والهموم والأحزان والضيق عقوباتٌ عاجلة، ونارٌ دنيوية).

فعلينا معاشر الأحبة أن نجتنب المعاصي دقيقها وجليلها، نجتنب المنكرات والموبقات، وما يغضب الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-، وما يسخطه -عَزَّ وَجَل-، ونحرص على الطاعات، فالله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- وعدنا وقال: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾[العنكبوت:٦٩].

بادر بالتوبة وأبشر بربٍّ كريمٍ يمدك بتوفيقه ومنِّه وفضله، ويعينك على التوبة والإقبال عليه -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-.

واعلم أن الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- أخبرنا أن الإعراض عنه من أسباب الضيق والكدر، يقول -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى (١٢٤) قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا (١٢٥) قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسَى (١٢٦)﴾[طه١٢٤:١٢٦].

فالبِدار البِدار معاشر الأحبة، والمسارعة إلى الخيرات ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾[البقرة:١٤٨] سابقوا ونافسوا فيما يرضي ربكم -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-، ولا يكتفي المرء بأني عملت كذا، وعملت كذا، لا، بادر وتُب واستغفر، فإن لك ربًّا غفورًا، كريمًا، رحيمًا، رؤوفًا -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-، فلا تعجز عن طلب المزيد من فضله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾[القصص:٢٤].

يقول أهل العلم -رحمة الله عليهم-: (ومن أعظم أسباب ضيق الصدر الإعراض عن الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-، وتعلق القلب بغيره، والغفلة عن ذكره، ومحبة سواه -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-).

يقول الإمام ابن القيم -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى- عبارةً جميلة فيقول: (إن الذنوب جراحات، ورُب جرحٍ وقع في مقتل).

فإياك ثم إياك والتسويف، وإياك وإياك من تهوين المعصية، ولا تنظر لصغر المعصية، لكن انظر إلى عظمة من عصيت، فإن نظرت إلى أنك تعصي ربًّا عظيمًا

جبارًا، والله لا تُقدِم على هذا، إن استحضرت هذه المعاني، واستحضرت أسماء الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- وصفاته -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- لنْ تُقدم على المعصية، لكن الإنسان يقع في غفلة، ويقع في البعد عن هذه المعاني العظيمة، فتقع منه الهفوة والزلة، وإلا لو استحضر عظمة الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- لما وقع في مساخط الله وما يغضبه.

يقول ميمون بن مهران -رحمة الله عليه-: (أعمال البِر يعملها البَر والفاجر، وأما ترك المعصية فلا يقوى عليها إلا صدّيق)

أعمال البِر قد يقوم بها البر والفاجر، أما ترك المعاصي فلا يقوم بها، ولا يقوى عليها إلا صدّيق، إلا من عَلَت رتبته، وارتفعت منزلته.

■ **من الأمور التي كذلك أيها الأحبة التي تزيد في الإيمان وتشرح الصدور:**

أداء الفرائض والمحافظة عليها.

فنبينا -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- بيَّن لنا في الحديث القدسي في قول الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-: «مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتَه بِالحَرْب، ومَا تَقَرَّب إِلَيَّ عَبْدِي

بِشَيءٍ أَحَبّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضَّته عَلَيْه، وَلَا يَزَال عَبْدِي يَتَقَرَّب إِلَيَّ بِالنَّوَافِل حَتَّى أُحِبه، فَإِذَا أَحَبَبْتَه كُنْت سَمْعَه الذِي يَسْمَع بِهِ، وَبَصَرَهُ الذِي يُبْصِر بِه، وَيَدَهُ التِي يَبْطِش بِهَا، وَرِجْلَه التِي يَمْشِي بِهَا، وَلَئِن سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّه، وَلَئِن اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّه»[1].

فالله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- يحب منك أن تبادر وتقبل عليه، وأحب ما يقوم به الإنسان إلى ربه هي الفرائض، عمل الفرائض والإقبال على الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- بأدائها، ثم بعد ذلك تأتي النوافل، فأحب ما يقوم به الإنسان لله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- بعد أداء الفرائض التقرب إليه -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- بالنوافل.

يقول سلمة بن دينار -رحمة الله عليه-: (ما أحببتَ أن تراه معك في الآخرة فقدِّمه اليوم- يعني من الأعمال الصالحة -وما كرهت أن تراه في الآخرة فاتركه اليوم)

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" (٨ / ١٠٥) برقم: (٦٥٠٢)

اليوم هي الفرصة التي تقدِّم أو تترك؛ تقدِّم الطاعة، أو تترك المعصية، أما في الآخرة فلا مجال للندم، ﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ﴾[الزمر:٥٦].

الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- يعطينا الفرصة تلو الأخرى، ويتحبّب إلينا -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- بالنِّعم، ويتحبّب إلينا بما يتحبب إلينا فيه ونحن ما بين إقبالٍ وإدبار، نسأل الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- أن يعيننا على طاعته.

■ **من الأمور التي تزيد في انشراح الصدر، وطمأنينة القلب، وراحة النفس: مجالسة الصالحين.**

تذاكروا حال النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم-، وصحابته الكرام رضوان الله عليهم، وكيف كانوا يعيشون مع أقوامهم في تكذيبٍ وصدٍّ وحربٍ وإخراجٍ، وغير ذلك من الأمور، إلا أن الواحد منهم كان أسعدَ ما يكون، ومنشرح الصدر، ومطمئن النفس، لماذا؟

ليقينهم بالله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-، وتوكّلهم على الباري -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-.

تنظر كذلك في حال مَن اقتفى أثرهم، وسلك سبيلهم، تنظر إليه فإذا به منشرح الصدر، مطمئن البال، مرتاح النفس.

الإمام أحمد رحمة الله عليه يزوره أصحابه وهو في سجنه، وقد عُذب ونُكِّل به، وأوذي، وفُعِلَ به ما فُعِل –رحمة الله عليه، إلا أنه بكل هدوءٍ وطمأنينةٍ واستقرارٍ يقرر لهم ما تعلمه من سُنة المصطفى -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم-، ولا تأخذه العواطف، ولا تأخذه الأمور التي قد تأخذ مَن ابتعد عن السنة من الطيش والغرور بما تعلمه، كلَّا فنجده منشرح الصدر، هو الذي قد عُذّب، وضُرِب وسُجِن، ومع ذلك يوصيهم بالصبر، الله الله بدماء المسلمين، الله الله بولي أمر المسلمين.

نجد في زماننا هذا العكس، إذا أوذي الشخص بكلمة، هاج وثار ضد ولاة أمره، وهاج وماج ضدهم، واستجلب بخيله ورجله عليهم، وافترى وأتى بكل أمرٍ ينتصر له في مقابل أنه أوذي.

أين أسوتك وقدوتك بهؤلاء الصالحين؟!

أين الثوابت التي تعلّمتها من المصطفى -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم-؟!

لذلك نقول ونعيد: أن المرء كلما ابتعد عن السُّنَّة كلما خفّ عقله، وطاشت أفعاله، وكلما اقترب من السُّنَّة كلما ثَقُل وكان كلامه أقرب للحق، وكان كلامه هو الذي يوافق الصواب.

ابن تيمية رحمة الله عليه يزوره أصحابه وهم خارج السجن، يزورونه وقد أوذي رحمة الله عليه وسُجِن، فيجدون من انشراح صدره، وطمأنينته، واستقراره ما لا يجدونه عندهم وهم خارج السجن، لماذا؟

لأن المرء قد تعلّق قلبه بالله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-، ولم يتعلق بأحد؛ فلذلك إن تكلم تكلم بما يرضي الله، وإن سكت سكت بما يرضي الله، وإن فعل فعل ما يرضي الله -عَزَّ وَجَل- لا انتصارًا لنفسه، ولا انتصارًا لحزبٍ، أو انتصارًا لفئةٍ معينةٍ كلَّا، بل النصرة للسنة النبوية على صاحبها أشرف الصلاة والسلام، هكذا يكون المؤمن إذا استمسك بهذه السنة وعرف مقدارها صَعُب عليه مخالفتها ولو كانت تخالف أهواءه الشخصية، تراه مستمسكًا بها، متيقنًا منها.

يقول ابن القيم -رحمة الله عليه- حينما كان يزور شيخه ابن تيمية -رحمة الله عليه- في السجن يقول: (والله ما رأيت أحدًا أطيبَ عيش منه، مع ما كان فيه من ضيق العيش، وخلاف الرفاهية- يقصد ما هو فيه من السجن وضيق الحبس- ومع ما كان فيه من الحبس والتهديد والإرهاق وهو مع ذلك من أطيب الناس عيشًا، وأشرحهم صدرًا، وأقواهم قلبًا، وأسرَّهم نفسًا، تلوح نظرة النعيم على وجهه، وكنا إذا اشتد بنا الخوف، وساءت منا الظنون، وضاقت بنا الأرض أتيناه- يعني في السجن -فما هو إلا أن نراه ونسمع كلامه، فيذهب ذلك كله، وينقلب انشراحًا وقوةً ويقينًا وطمأنينة، فسبحان من أشهدَ عباده جنّته قبل لقائه).

لذلك نقول: من الناس من يعيش في جنةٍ في هذه الدنيا قبل جنة الآخرة، ومنهم من يعيش في نكدٍ وضيقٍ في هذه الدنيا قبل نكد الآخرة، فاختر لنفسك يا عبد الله أي الطريقين.

ولا يشك عاقل أن المرء لا يختار لنفسه ما فيه مضرة أبدًا، يقول: فسبحان من أشهد عباده جنته قبل لقائه، وفتح لهم أبوابها في دار العمل، فآتهم من روحها ونسيمها وطيبها واستفرغ قواهم لطلبها والمسابقة إليها.

■ السبب الأخير أيها الإخوة من أسباب انشراح الصدر، وطمأنينة النفس، وراحة البال: الرضا بقضاء الله وقدره.

يقول -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم-: «عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِن، إِنَ أَمْرَه كُله لَهُ خَيْر، وَلَيْسَ ذَلِك لِأَحدٍ إلا لِلْمُؤْمِن، فَإِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاء شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَه، وَإِنْ أَصَابَتْه ضَرَّاء صَبَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَلَيْسَ ذَلِكَ لِأَحَدٍ إِلا لِلْمُؤْمِن»[(١)].

«يَعْلَمَ الْمسلم أَنَّ مَا أَخطَأه لم يَكُن لِيُصِيبَه، وَمَا أَصَابَهُ لم يَكُن لِيُخْطِئَه، رُفِعَت الأَقْلَام وَجَفَّت الصُّحُف»[(٢)].

يقينك وإيمانك ورضاك بقدر الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- يجعلك في راحةٍ وطمأنينة .

---

(١) أخرجه مسلم في "صحيحه" (٨ / ٢٢٧) برقم: (٢٩٩٩)

(٢) أخرجه الضياء في المختارة (٢١٩٧)

انظر لنبيك -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم- يصاب بما يصاب به أي أب، يفقد فلذة كبده، يفقد ولده مع محبته الشديدة لإبراهيم فيقول ماذا؟

«إِنَّ العَيْن لَتَدْمَع، وَإِنَّ القَلْب لَيَحْزَن، وَلَا نَقُول إِلَّا مَا يُرْضِي رَبَّنَا، وَإِنَّا لِفُرَاقَك يَا إِبْرَاهِيم لَمَحْزُونُون».

لو يستحضر المسلم هذه الأمور حينما يصاب بمصيبةٍ تنشرح صدره، وتطمئن نفسه، ويسكن قلبه ولا يجد إلا الراحة والطمأنينة؛ لأنه بين أمرين:

١- إما أن يجزع ويلطم الخدود، ويشق الجيوب، ويفعل ما يفعل كما يفعل بعض الناس، وينال غضب الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- على هذا الاعتراض

٢- أو أنه يصبر ويحتسب الأجر، وينال الفضل والأجر من الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-.

فلا شك ولا ريب أن المسلم العاقل لا يختار إلا ما اختاره له ربه، وما ارتضاه له ربه -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-، فكل أمرك أيها المسلم في خير، فإن أصابتك سرَّاء؛ شكرت الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- فكان خيرًا لك، وإن أصابتك ضرَّاء؛

صبرت وحمدت الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- على هذا، فكان كذلك خيرًا لك، لكن لا ينال هذا الفضل، وهذا الأجر إلا المؤمن.

نسأل الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- أن يشرح صدورنا، وأن يطمئن نفوسنا، وأن يسكِّن قلوبنا، وأن يرزقنا الهداية والتوفيق بمنه وفضله وكرمه -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- إنه جوادٌ كريمٌ مجيبٌ سميعٌ رحيمٌ بنا -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-.

اللهم لا تردنا خائبين، وأسبغ علينا نعمك، وأسبغ علينا فضائلك، واجعلنا يا رب في هذه البلاد آمنين مطمئنين في سخاء ورخاء، ورغدٍ من العيش، واستغفارٍ، ولجوءٍ إليك، وتضرعٍ، وإخباتٍ، وأوبةٍ، وتوبةٍ إليك يا ربنا، واجعلنا غير ناكرين لنعمك، واجعلنا شاكرين لفضلك وإنعامك يا رب، وأسبغ علينا النِّعم ظاهرةً وباطنة، وأدِم علينا وعلى ولاة أمرنا، وعلى حكامنا، وعلى شعب الإمارات وشعوب الخليج وشعوب المسلمين أجمعين الطمأنينة والراحة والهدوء، وراحة البال، والبعد عن منغصات هذه الدنيا

ونسأل الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- أن يبعد ويجنب المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، يجنبهم الفتن ما ظهر منها وما بطن، ويجعل بلادهم بلادًا آمنةً مستقرة سخاءً رخاءً.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبيه الكريم وعلى آله وصحبه أجمعين.

نسأل الله أن يحفظكم ويبارك فيكم، ونسأل الله أن يجزي القائمين على المؤسسة خير الجزاء والمعذرة على الإطالة عليكم، بارك الله فيكم، وجمعنا وإياكم في مستقر رحمته.

****

حسابات شبكة بينونة للعلوم الشرعية

ليصلكم جديد شبكة بينونة، يسعدنا أن نتواصل على المواقع التالية:

【 تويتر Twitter 】 ①

https://twitter.com/BaynoonaNet

② 【 تيليجرام Telegram 】

https://telegram.me/baynoonanet

③ 【 فيسبوك Facebook 】

https://m.facebook.com/baynoonanetuae/

④ 【 انستقرام Instagram 】

https://instagram.com/baynoonanet

⑤ 【 واتساب WhatsApp 】

احفظ الرقم التالي في هاتفك

☏ 00971555409191

أرسل كلمة "اشتراك"

تنبيه في حال عدم حفظ الرقم لديك

((لن تتمكن من استقبال الرسائل))

⑥ 【 بلاك بيري BBM 】

http://www.pin.bbm.com/5D6F3191

⑦ 【 يوتيوب Youtube 】

https://www.youtube.com/c/BaynoonanetUAE

⑧ 【 تمبلر Tumblr 】

https://baynoonanet.tumblr.com/

⑨ 【 بلوجر Blogger 】

https://baynoonanet.blogspot.com/

⑩ 【 فليكر Flickr 】

https://www.flickr.com/photos/baynoonanet/

⑪ 【 جوجل بلس Google+ 】

https://plus.google.com/u/0/+BaynoonanetUAE

【 تطبيق الإذاعة 】

لأجهزة الأيفون

https://appsto.re/sa/gpi5eb.i

لأجهزة الأندرويد

https://goo.gl/nJrA9j

【 لعبة كنوز العلم 】

لأجهزة الأيفون

https://goo.gl/Q8M7A8

لأجهزة الأندرويد

https://goo.gl/vHJbem

【 البريد الإلكتروني 】

info@baynoona.net

【 الموقع الرسمي 】

http://www.baynoona.net/ar/

حقوق الطبع محفوظة